

صدغه وهو يقول لهم « الموت كما قلت لكم تافه وسخيف » .

٤ - وفي قصص حارة السعدي يحافظ المؤلف على مذاق الدهشة في قصصه ، لكنه يطرح بشكل مباشر **المسألة الاجتماعية** . مسألة تحرر المرأة . فالمرأة تذبذب في سبيل الشرف . وترتكب الجرائم من أجلها . والتخلف الاجتماعي الذي يسحق حارة السعدي يمتد الى جميع مرافق الحياة . فالحياة رتيبة باردة وجامدة . واي محاولة لتحريك الماء على سطحها تصطدم بسدود قوية من التقاليد والقيم . لذلك نحن ترتفع لوحة الحارة ، فانها تنزع بين براءة اطفالها واحلامهم وبين السواقع الاجتماعي الذي يسحق « نطمة » وشعرها الاسود .

في هذه المحاور الاربعة تتكامل تجربة « دمشق الحرائق » لتعطي وجهاً جديداً في بناء القصة العربية . غير أن قصة واحدة (رحيل الى البحر) تخرج عن اطار محاور هذه المجموعة وان كانت محاولة كثيفة لنقل تجربة عميقة الجذور في واقعنا . فهي تستبدل الحلم بالكابوس وتحول السمرز الاسطوري الشفاف الى رمز مباشر . فالبحر بعيد ولا يصل اليه أحد والرحيل صوبه او صوب جسد المرأة يبقى رحيلاً بلا نهاية . فالطريق طويل وشاق . وعلى الجانبين يقف رجال الشرطة ليمنعوا الرجل من الوصول . وفي النهاية يأتي الموت حاملاً حزنه البارد : « انا لا استطيع الضحك او البكاء لان الديدان والجرذان أكلت رئتي وعيني وحنجرتي . ارسلني الى ملابس صوفية . آه القبر بارد يا ابي وشمس البحر ناحية » .

في اطار هذه المحاور الاربعة يأتي البناء القصصي ليؤكد على مسألتين :

من **جهة أولى** فهو تأكيد على ضرورة اكتشاف مجالات جديدة للتعبير . وتعبير هذه الضرورة عن نفسها في التقاط لحظة الدهشة بالحياة . فالأحداث اليومية ، والمواقف العادية تجري هنا عملية اعادة سكبها من جديد انطلاقاً من عيون الاطفال . لكن عيون الاطفال ليست وحدها منظور الرؤية . انها نم قاعدي يتحرك في ثنايا جميع القصص . لكن النغم ما ان يعلو قليلاً حتى يتدخل صوت الواقع الاجتماعي ويقوم بعملية قصه . فالرؤية اذن تأتي من خارج السياق ، انها مكان يشرف

عن المجرى العام للعملية الاجتماعية . ويكون في الوقت نفسه قد مد الواقع باطارات جديدة تمنعه من السقوط في فخ الفجاجة . فلسنا اذن أمام حركة وحيدة الجانب . فالحركة المركبة تأتي لتوحد أطراف التجربة وتعطيها بعدها الخاص .

٣ - **اما الواقع السياسي المباشر** ، فان لصوته الخاص ايقاع الحلم والاسطورة . لكنه حلم يعياً في ثلاثة أنواع من التجربة الفنية :

أ - ففي قصة (التراب لنا... وللطيور السماء) ينسج تامر اسطورة خاصة تشبه الحكايات الشعبية . وفيها يؤكد على امرين : - ضرورة التفاعل مع العلم الحديث وضرورة ترك القديم الموروث . فدمشق المحاصرة ترمض على لسان طبقتها الحاكمة اختراع الطائرة وتجد لنفسها آلاف الاسباب التراثية . فمسألة التقدم العلمي ترتبط بمسألة التقدم الاجتماعي ويتحدى التصدي للاعداء . ولما التهمت النار البيت والعالم والطائرة ، صاح أعوان الملك فرحين ، ولكن صياحهم خنقه سريعاً الاعداء الذين نجحوا في التسلل الى دمشق غير مباليين بأسوارها .

ب - وفي (الاستغاثة) ينهض يوسف العظمة من قبره . يخرج الى شوارع دمشق حيث يعتقل . وفي القصة تداعيات بين خطواته وحواره وبين أحداث معركة ميسلون . فالمعركة كانت اصراراً بطوليا على التمسك بالارض . وحديثه مع المسؤولين اليوم فيه نفس النبرة التي لا تثير فينا الضحك بقدر ما تثير الكتابة . فحين يعود العظمة الى شوارع دمشق ويكتشف الواقع الجديد ، لا يجد لنفسه مكاناً سوى في السجن الانفرادي . «وأغضض يوسف العظمة عينيه ، وأحس بأن شرايينه تمتلك آلات الانجحة التوافة الى نضاء رحب ، فأطلق استغاثة التقت بالاستغاثة الآتية من ارض يحتلها الاعداء ، ولما تزجتنا في صراخ مديد تبدد في ظلمة الليل المغييب على دمشق النائمة » .

ج - وفي (رجل غاضب) يتخلى تامر عن البناء الاسطوري ليصل مباشرة الى غايته ، هنا يرتفع صوت احتقار الموت أمام رجال يرتجفون هلعاً منه . فالمرء سخيف . والرجل الغاضب يترك الرجال الذين يرتعدون امامه بعد ان صرخ بهم طالباً منهم محاربة العدو . يتركهم ويطلق الرصاص على